من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وسميت الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
شيعة لكون بعضهم يشايع بعضا ويتابعه والشيع واحده شيعة وشيعة الرجل اتباعه مثل شيع
الاولين من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وجانب الغربي والاكثر
في شيع الاولين والبصريون يؤولون مثله على حذف المضاف اليه اي شيع الامم الاولين
وجانب المكان الغربي وقوله تعالى وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن نظير
قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون لكون المستثنى فيه صفة لرسول
على ما اختاره السكاكي والكاف في قوله منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف او حال
منه اي سلكنا الاستهزاء في قلوبهم سلكا مثل هذا السلك او حال كونه مثل هذا السلك
ويحتمل ان يكون مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك ونسلكه تسليك
قوله وقيل الذكر فان المعتزلة لما ابوا ارجاع ضمير نسلكه الى الاستهزاء المدلول عليه بقوله يستهزؤن
بناء على ان الاستهزاء بالانبياء كفر وضلال والله تعالى لا يخلق الباطل وقبائح العبد على زعمهم قالوا
ان الضمير للذكر واستدلوا عليه بان الضمير في قوله لا يؤمنون به عائد الى القرآن بالاجماع فيكون ضمير
نسلكه ايضا عائدا اليه لانهما ضميران متعاقبان فيجب عودهما الى شيء واحد
وايضا قوله لا يؤمنون به حال من ضمير نسلكه فلو كان ذلك الضمير للاستهزاء لكان المعنى
نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم لا يؤمنون بذلك الاستهزاء وذلك يوجب التناقض
لان الكافر لا بد وان يكون مؤمنا بكفره واستهزائه والذي لا يؤمن ولا يصدق بالكفر
هو المسلم العالم ببطلان الكفر او هو بيان وتفسير لجملة كذلك نسلكه فينبغي ان يكون المبين مشتملا
على ما اشتمل عليه البيان واجاب المص عن وجوه احتجاجهم بان الاصل في الضماير ان يرجع
الى اقرب المذكورات وان قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر بعيد وقوله يستهزؤن اقرب
والاصل المذكور يقتضي ان يرجع ضمير نسلكه الى الاستهزاء المدلول عليه
باقرب المذكورين ولا مانع من اعتبار هذا الاصل في ضمير نسلكه فقلنا انه راجع الى الاستهزاء
ولما تحقق المانع من اعتبار هذا الاصل في الضمير الثاني وهو لزوم التناقض قلنا ان الضمير
الثاني يرجع الى الذكر المذكور اولا وتفريق الضماير المتعاقبة على الاسماء المختلفة ليس بقليل
في القرآن فان تعاقبها لا يستلزم عودها الى شيء واحد لان الامر فيه موقوف على الدليل ولما دل
الدليل في هذه الاية على رجوع الضمير الاول الى الاقرب ورجوع الضمير
الثاني الى الابعد عملنا بمقتضى الدليل واجاب عن قولهم ان لا يؤمنون به حال
من ضمير نسلكه فلو كان ذلك الضمير للاستهزاء لزم

للزوم التناقض بقوله ولا يستحسن ان يكون الجملة حالا من الضمير الخ يعني ان التناقض انما لزم على تقدير كون ضمير
نسلكه للاستهزاء وكون الجملة حالا عنه وذلك غير لازم لجواز ان يكون حالا من المجرمين بل يجوز ان
لا يكون لها محل من الاعراب ان تكون جملة مستانفة لبيان حالهم بدخول الاستهزاء في قلوبهم ويكون المعنى لا يؤمنون
بسببه واجاب عن قولهم كون الجملة الثانية بيانا للاولى فيقتضي ان يكون ضمير نسلكه للذكر وبناء كونه
للاستهزاء بقوله ولا نسلم كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه فان تمكن الاستهزاء بالرسل في القلب عبارة
عن الامتناع عن الايمان بهم بسبب ذلك الاستهزاء فيصلح ان يكون لا يؤمنون به تفسيرا وتقريرا لكذلك
نسلك الاستهزاء في قلوبهم والمعنى نبأنا رجالا فيهم جواب عما يقال الاصل في فعل الارسال ان
يتعدى بالى فينبغي ان يقال ولقد ارسلنا من قبلك الى شيع الاولين فكيف عدي بكلمة في
ويكفي في الجواب ان يقال عدي بفي لتضمين ارسلنا معنى نبأنا الا انه زاد قوله رجالا للاشارة
الى انه مفعول ارسلنا محذوف تقديره ارسلنا رسلا فيهم وزاد قوله وجعلناهم رسلا فيما بينهم
اشارة الى ان معنى الارسال الرسل لما تقرر من ان الرسول من له معجزة باهرة وكتاب سماوي
والنبي صاحب المعجزة فقط وليس له كتاب سماوي فلو اقتصر على قوله نبأنا رجالا لا فهم كان
المذكور بعض معنى ارسلنا وهو بصدد بيان تمام معناه فذكر بقوله نبأناهم فيهم على معنى اعطاهم
المعجزة وبقوله وجعلناهم رسلا فيما بينهم على معنى صيرناهم صاحب كتاب وشريعة مستقلة
والفائدة في ارتكاب ما يحوج الى اعتبار التضمين الاعلام بمزيد تمكن الرسل واستقرارهم فيما بين الامم
قوله بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم قدم هذا المعنى لكونه اكثر ارتباطا بما ذكر قبله
وعلى المعنى الثاني يكون تهديدا لكفار مكة على هؤلاء المقترحين من كفار مكة فان الله تعالى حكى عنهم توغلهم في
الكفر والعناد بقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت
من الصادقين وقد حكى الله تعالى في مواضع اخر انهم كانوا معاندين الايات ويعتقدون اسلامهم على
حيث ما بقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فكان المسلمون
يظنون انهم صادقون مسترشدون في ذلك الاقتراح فكانوا يستشفعون رسول الله صلعم
حتى يسأل الله تعالى ان يعطيه الايات التي سألوها لعلهم يؤمنون فبين الله تعالى انهم في ذلك الاقتراح
متعنتون لا مسترشدون حتى لو فتحنا عليهم بابا من السماء لاصروا على العناد والمكابرة فلو دخلوا
الى قولهم لو ما تأتينا بالملائكة ونظيرها قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه
بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقوله تعالى قل انما الايات عند الله وما يشعركم
انها اذا جاءت لا يؤمنون قوله كما تقول ان ظللت الافعال الناقصة واسمها مستتر فيه
راجع الى الكمال المفهوم بمعنى ابصارنا وقيل راجع الى الملائكة وقد اشار اليه المصنف بقوله او تصعد

Copyright © King Saud University